http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1878) السنة الثامنة - السبت (14) آب 2010

هل تحول العراق من مستورد الى منتج للمخدرات؟

علب مستحضرات التجميل النسائية وسيلة التهريب المرغوبة (والداتورة) النوعية الافضل

تم اكتشاف عدد من الاماكن التي تزرع فيها نباتات خاصة بالمخدرات في عدد من محافظات العراق التي تشهد وضعا امنيا ساخنا، مثل محافظة نينيوى وديالى وذي قار حيث تم ضبط مزارع لنبتة تسمى (الداتورة)، جاء هذا على لسان مدير مكتب مكافحة المخدرات في وزارة الداخلية رعد مهدي لوكالة (اكانيوز) ويشير مهدي الى ان الوزارة قد ضبطت افرادا من جنسيات مختلفة في العراق لهم علاقة بتجارة المخدرات، متوقعا ان يكون هؤلاء الموردين الاساسيين المسؤولين عن تجارة المواد المخدرة في العراق، وتشير الاحصائيات في عام ٢٠٠٢ ان عدد المتعاطين والمتاجرين والمروجين والمهربين كان لا يتجاوز ٣٢١ شخصا،وازداد هذا العدد في عام ٢٠٠٩ ليصبح ١٤١٥ شخصا، ليتحول العراق من مورد لتجارة هذه المواد الى منتج ومصدرلها، كما ان هناك حالات وفاة عديدة قد سجلت في بعض المستشفيات كان سببها الادمان على المخدرات.

بغداد / سها الشيخلي تصوير / احمد عبد الله

تجارة وتهريب

وعرضت احدى المحطات الفضائية المحلية تقريرا مصورا من محافظة المثنى حيث تم القاء القبض على تاجر يقوم بتهريب المخدرات، ووجد في حوزة ذلك التاجر ٤٠ كيلو غراما من مادة الحشيشة التي تم وضع صور نساء على اغلفة تلك الاكياس على انها مستحضرات تجميل خاصة بالنساء، كما تم عرض صورة التاجر والمهرب وهو معصوب العينين، بعد ان القت الشرطة القبض عليه وهو يخفي تلك الاكياس في صندوق سيارته، ولم يكن هذا التاجر الذي لم تذكر القناة اسمه، الاول ولا هو الاخير بالتاكيد الذي يهرب ويتاجر بالمخدرات في العراق لا قديما ولا حديثا، بل هناك مافيات تقوم بتهريب وتجارة المخدرات وفق خارطة تمتد من شمال افر يقيا الى جنوب شرق اسيا حتى تصل الى افغانستان و ايران ثم دول الخليج، وبعدها اوربا الشرقية واليونان وتركيا، ويحمل بعض زوار العتبات المقدسة في كربلاء والقادمين من الجارة ايران المخدرات وخاصة الحشيشة، كما ان بعض المدن العراقية الحدودية تنشط فيها عمليتا تهريب وتجارة المخدرات و منها البصرة، العمارة، واسط، السماوة، كربلاء ثم ديالى، ومن الظواهر التي تطالعنا في الكراجات العامة وفي الساحات وجود عدد من المتسولين وهم في حالة غيبوبة جراء تعاطيهم حبوب الكبسلة، وفي مراب العلاوي شاهدت بعضهم وكان يلح في طلب (الصدقة) وكان عمره قد تجاوز ال٦٠ عاما، وعندما سالته ان كان لديه ابن او بنت يساعدونه على تقبل الحياة قال ان لديه ابنا وبنتا فقط وقد هاجرا الى استراليا وتركاه لوحده يعاني من شظف العيش، ما ارغمه على طلب الصدقة، واشار ذلك المتسول الى ان هناك عصابات منظمة تقوم ببيع المخدرات بكل انواعها، وان اغلب المتسولين يعانون من ضغوط نفسية واجتماعية ما يجعلهم من مدمني المخدرات.

من السجن الى المستشفى

السجين الذي لم تثبت عليه تهمة سرقة صاحب المحل الذي يعمل لديه، عبد الجبار ٢١ سنة، قضى من مدة محكوميته ثلاثة اشهرافرج عنه بعدها،يحدثنا عبد الجبار الذي خرج من مستشفى ابن رشد التعليمي للطب النفسي وهو المستشفى الوحيدة في العراق الخاص بالادمان بعد ان تلقى العلاج وخرج من المستشفى، ويشيد عبد الجبار بالعناية التي تلقاها في ردهة خاصة بالرجال وعلى ايدي اطباء اكفاء،، يقول عبد الجبار:

– دخلت السجن بتهمة كيدية من صاحب محل للقماش كنت اعمل لديه، وبعد التحقيق اطلق سراحي، الا انني وطيلة مكوثي في السجن كنت اتعاطى شرب الحشيشة وهي على شكل لفائف قريبة الشبه من سيكارة (المزبن)، ولم اكن اعرفها من قبل، الا ان السجناء يتعاطونها بعد الاتفاق ورشوة حراس السجن، وهذه الطريقة متبعة في اغلب السجون في العالم كما يؤكد السجناء، وهي طريقة لنسيان الهموم والحيف الذي لحق بالابرياء منهم وهم بمثل حالتي، ويواصل جبار حديثه المفعم بالحزن من انه كان مثال الامانة والصدق مع رب العمل الا ان نقصا في (الدخل) جعل صاحب المحل يشك في امانته، ولكن بعد فترة تبين ان مبلغ النقص كان قد قدمه صاحب المحل الى احد اقاربه على انه قرض، وبعد ان جاء الدائن ليرد مبلغ القرض، عندها شعر صاحب المحل بانه قد ظلم عامله، وجاء ليغلق ملف التهمة، ولكن بعد خراب البصرة كما يقولون، فقد ادمنت على تعاطي الحشيشة، وتم نقلي الى المستشفى بعد ان اضرت تلك اللفائف بصحتي الى درجة جعلتني، اشبه بالمجنون، وعن معاملة ادارة المستشفى للمدمنين امثاله، يقول عبد الجبار ان الادارة جيدة، لكن بعض المرضين والمرضات يسيئون معاملتنا، على اننا من المدمنين، وقد يكونون محقين في ذلك فالادمان صفة تجعل صاحبها لا يطاق، وعن مدة بقائه في المستشفى يشير عبد الجبار الى ان المدة كانت شهرا كاملا، تلقى خلالها الادوية والنصائح، ويرى ان العلاج الثاني كان اكثر فائدة من الاول، بحيث جعله انسانا سويا، وعن حالة الادمان التي عاشها يؤكد عبد الجبار ان الشعور بالياس والاحباط والظلم، كان الدافع الاكبر لتعاطي الحشيشة، وعن كيفية دخول الحشيشة الى السجن او التوقيف يوضح عبد الجبار ان الرشوة تستطيع ان تفتح كل الابواب المغلقة، حتى لو كانت ابواب السجن.

حالات الادمان في المستشفى

ولما كان مستشفى ابن رشد التعليمي للطب النفسي الوحيد في العراق لمعالجة حالات الادمان، فقد ذهبنا اليه للاطلاع على حالات المدمنين من كلا الجنسين، والتقينا مدير المستشفى الدكتور علي عبد الرزاق الذي اوضح ان حالات الادمان في المستشفى تشمل:

مدير مستشفى ابن رشد: لا يوجد لدينا مريض واحد مدمن على الحشيشة

– الادمان الكحولي
– الادمان الدوائي

وان في المستشفى ردهات خاصة بالرجال والنساء المدمنين، اما مدمنو الحشيشة او المخدرات فالاعداد التي تقصد المستشفى قليلة.وفي الوقت الحاضر ليس لدينا ولا مريض واحد جراء الادمان على المخدرات

ثم انتقلنا الى الطبيب الاخصائي بحالات الادمان الدكتور شعلا ن جودة، الذي اشار الى ان مدمني الحشيشة والمخدرات الاخرى والكبسلة قلما يحضرون الى هذا المستشفى وذلك لان (الوصمة الاجتماعية) والخجل والاحراج في الدخول الى هذا المستشفى يمنع المريض واهله من العلاج لدينا، وتردنا حالات الادمان على المخدرات حالة واحدة لكل عام تقريبا، في حين يقصد المريض او المدمن مستشفى اخر ليعالج في ردهات خاصة بالطب النفسي، ومع وجود اعداد كبيرة من المدمنين على تعاطي المخدرات كما تشير التقارير، الا اننا لم نجد سوى اربعة من المدمنين من الرجال في مستشفى ابن رشد اثنين منهم من مدمني الكحول والاثنين الاخرين من مدمني الادوية، وعن الادمان الدوائي يشير الدكتور جودة الى ان هناك انواعا من الادوية حاوية على مواد مهدئة منها الارتين والفاليوم، كما ان اغلب الشرابات الخاصة بالسعال تحوي مادة الكودائين وهي مادة مهدئة، وهناك العديد من الادوية الاخرى منها الريفوتريل والتكرتول وكلها تباع على الرصيف في صيدليات مكشوفة وهي في الغالب غير مفحوصة في المختبر المركزي، ما يجعل تداولها بشكل سري، ومع الحملات التي تقوم بها وزارة الصحة للقضاء على هذه الظاهرة، نجد ان هناك من يتعامل بهذه الادوية ليس فقط في صيدليات الرصيف بل في الصيدليات المجازة، والسبب هو عدم المتابعة من قبل نقابة الصيادلة، كما ان الاستيراد المفتوح لمكاتب الاعلام الدوائي قد اوجد انواعا من الادوية سواء على شكل (شراب) او حبوب مهدئة، يلجأ اليها المريض في حالات خاصة، لكن هذه الحالة تقوده الى الادمان اذا ما اكثر منها، وهي مضرة بالاعصاب. وعند سؤالنا عن حالات الادمان في الردهات النسائية، اجاب الدكتور جودة: الى ان الردهات النسائية لا تضم سوى حالات الكابة وانفصام الشخصية والامراض النفسية الاخرى، وان النساء المدمنات هن بالتاكيد اقل بكثير من الرجال، سواء كان الادمان الكحولي او الدوائي.

المختبرات الأهلية

ويؤكد المحلل الكيميائي باسم ابراهيم الذي يعمل في احد المختبرات الاهلية، ان حالات الادمان تظهر بشكل واضح عند اجراء التحليلات المرضية الخاصة بالدم، كما تظهر عند التحليل نسبة تواجد تلك المركبات في الدم ما يؤكد ان المريض مدمن على تناول المخدرات، وفي اغلب الاحيان نشاهد تلك النسب من المواد الخاصة ببعض العقاقير الطبية او الحشيشة او شراب السعال او الحبوب المهدئة ظاهرة بين مركبات الدم، حتى وان كان المريض لا يشكو الادمان، ويشيرالكيميائي ابراهيم الى ان هناك حالات شديدة من الادمان قد اودت بحياة بعض المرضى وكانت النتيجة وجود مواد سامة في الدم سببت الوفاة.

بيانات غير دقيقة

كان النظام السابق يعتم على الاحصائيات للعديد من الافات والامراض التي تهدد المجتمع العراقي، ومنها على سبيل المثال اعداد مرضى (الايدز) وعدد المدمنين على المخدرات من كلا الجنسين، وفي الاونة الاخيرة طالعتنا الهيئة الوطنية لمكافحة المخدرات، عبر تقاريرها، عن وجود اكثر من ٧ الاف متعاط للمخدرات بكل اشكالها في محافظات العراق واحتلت الصدارة محافظة كربلاء، حيث اصبح عدد المدمنين فيها اكثر من ٦٠٠ مدمن، واشارت التقارير الى ان السبب في تلك الزيادة، ما يحمله زوار العتبات المقدسة معهم من مخدرات، وفي بغداد اصبح عدد المدمنين اكثر من ٧٠٠ مدمن، وفي محافظة البصرة وصل العدد الى٩٠٠ مدمن وفي ميسان اكثر من ٣٠٠ مدمن، واشار احد اعضاء الهيئة الوطنية لمكافحة المخدرات الى ان الاضطراب الامني وماسي الحروب قد اوجدت مافيات وعصابات لتداول وتجارة كل انواع المخدرات في داخل وخارج العراق، وتوسعت تلك المافيات بعد توسع التجارة مع دول الخليج وغياب الرقابة على الحدود المفتوحة بين العراق ودول الجوار، وهي تجارة منظمة يقودها تجار متمرسون في مثل هذا النوع من التجارة.

وكيل وزارة الداخلية: اغلب المتعاطين من الشباب، ولا نسمح بانتشار هذه الظاهرة

مديرية مكافحة المخدرات

رغم الجهود التي بذلناها للحديث مع مدير مكافحة المخدرات الا اننا فشلنا، لكن كان من السهولة الحديث مع وكيل وزارة الداخلية اللواء حسين كمال، ومن الغريب انه لم يتفاجأ بخبرزراعة الحشيشة وخاصة نوع النبتة المسماة (الداتورة) بل رد قائلا:

الوضع الامني في بعض المناطق متدهور، وعدم وجود مراقبة و متابعة يؤدي الى زراعة بعض النباتات الخاصة بالمخدرات، ولكن رغم ذلك لا نتسامح مع هذه الظاهرة الخطرة ذلك لانها تهدد المجتمع بأكمله، وبموجب القانون العراقي تعد زراعة وتعاطي وتجارة المخدرات من الجرائم الكبرى وعقوبتها الاعدام، وكل ما نحتاجه الان هو اعداد دراسة متأنية لظاهرة انتشار المخدرات بكل اشكالها وانواعها، ومنع مرور تلك المواد عبر العراق، وان لا يكون جسرا لهذه التجارة مع دول الجوار، كما على الدوائر المعنية كافة ان تراقب تطورهذه الظاهرة ومخاطرها على المجتمع العراقي، خاصة ان الدلائل تشير الى ان اغلب متعاطيها هم من فئة الشباب، وهذا هو الخطر بعينه، حيث تعتبر هذه الفئة المعيار لتقدم وبناء الاوطان وتقدمها، لا العكس.

و مازال العزاء مؤجلا!

المفقودون في العراق.. رحلة البحث عن المجهول

وائل نعمة

مقبرة جماعية

وسط ارض وعرة وبين نخيل محروق ومياة جفت، وجرافات تضرب التربة بلا هوادة، جنون يعم المكان، جلست نساء ثكالى يبحثن بالتراب باصابعهن العارية، يتناثر في كل الجهات يغطي "العباءة" الرمادية التي سقط لونها بسنوات البكاء الطويل، ملابس أطفال وبقايا شعر واظافر، وثائق "مهروسة" وبعض من عظام، جهود لم تفض الا لتراكم الحزن وزيادة في الالم، ومحاولات بائسة لتجميع رفات لايمكن تجميعها،وعلى بعد امتار من الضجة والتراب المتصاعد جلست امرأة في عقدها السادس بعد ان أهلكها البحث قرب لوحة كتب عليها بخط غير واضح "قرية أبوسديرة" واسندت ظهرها اليها، قرية تقع في بلدة المحاويل وتضم اكبر مقبرة جماعية اقيمت عند طرف ارض زراعية مساحتها اقل من ٢٠٠ متر طولا و١٠٠ متر عرضا دفن فيها ٢٨٠٠ شخص، رجالا ونساء، اطفالا وشبابا وشيوخا بعد قتلهم باطلاق الرصاص عليهم او بدفنهم وهم احياء اثناء عمليات قمع الانتفاضة الشعبانية الشعبية التي اندلعت ضد النظام السابق، ولم تتسع هذه المقبرة لكل الضحايا فدفن ٣٠٠ آخرين في مقبرة لا تبعد كثيرا عن المكان.

لقاء في وسط الطريق

المرأة "ام جعفر" كانت احدى النساء اللاتي تهافتن حين سمعن اخبارا تتحدث عن اكتشاف مقبرة جماعية يعود رفاتها الى فترة الانتفاضة الشعبانية يبحثن عن ابناء وازواج قد اختفوا في تلك الفترة، "ام جعفر" من سكنة مدينة كربلاء، وحين بدأ "الرفاق البعثيون" بعد قمع الانتفاضة يجوبون الشوارع ويأخذون الشباب بشكل عشوائي لاكمال عدد كان مطلوبا منهم ليسوقوهم الى المقاصل! وضعت "عباءتها" فوق رأسها وسحبت "جعفر" ابنها الوحيد الذي يعد نفسه للدخول الى كلية الهندسة، واخذته الى بيت اخيها خوفا من "البعثيين" ان يرموه في سجون الطاغية التي نادرا مايخرج منها احياء. في الطريق التقت مع مجموعة من "اهل الزيتوني" مسؤولي المنطقة الحزبية، وطلبوا منها ان يأتي "جعفر" معهم الى الشعبة الحزبية وبعد دقائق سيعود اليها بعد ان يستفسروا عن اشياء معينة، وسواء صدقتهم ام لا كان الامر محسوما، ابتعد عنها ولم تفلح توسلاتها ولادموعها من تركه، وزادت المسافة بينها وبينه مع تأكيد "الرفاق"، "سيعود بعد دقائق"!

استمر الوعد لسنوات عدة والام تنتظر، مازال يرن في اذنيها كلامهم حين اخذوه، لم تترك بابا الا وطرقته لكن من دون اجابة، الى ان سقط النظام فتنقلت من مقبرة الى اخرى بحثة عن اثر او اشارة حتى تقيم العزاء لابنها الحاضر الغائب، لم تدخر جهدا في البحث لكنها لم تصل الى شيء،و مازالت تنتظر "غراب نوح".

"ام جعفر" شأنها شأن الكثير من الاسر التي فقدت الكثير من ابنائها اثناء الحروب وقمع النظام لمعارضية ومازال البحث جارياً عنهم، ملف المفقودين تشابكت خيوطه وتعددت اطرافه، مفقودون في الحرب الايرانية، ومفقودون في مرحلة غزو الكويت، وفي الانتفاضة الشعبانية ومن ثم اعمال العنف الاخيرة التي خلفت اعدادا كبيرة من المفقودين.

أعداد غير معروفة

"حارث سليم" محام وناشط في مجال حقوق الانسان يقول "لايمكن لاحد ان يعرف كم هو عدد الذين فقدوا في العراق جراء الحروب واعمال العنف، المفقودون خارج االعراق في الحرب العراقية الايرانية ربما وقعوا في الأسر، أو اختطفوا، أو ربما لقي بعضهم مصرعهم ودفنوا في مقابر غير معروفة أو منهم من رقد بالمستشفيات في حالات خطيرة او ربما قد احتجزوا في اماكن سرية، كل هذه الاحتمالات واردة ولايمكن الوصول الى الحقائق بسهولة". وأوضح تقرير سابق صدر عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولي،أن عدم معرفة العدد الحقيقي للمفقودين في العراق يظل مشكلة حقيقية، وتقدر اللجنة عدد المفقودين بـ٣٧٥ ألف مفقود.

والجدير بالذكر أن إيران سلمت رفات تسعة جنود عراقيين، بعد أن سلمتها السلطات العراقية رفات سبعة جنود إيرانيين قبل ستة اشهر،وتعد هذه هي المرة الثانية التي يتبادل فيها البلدان رفات جنودهما منذ سقوط النظام السابق، وهذا يفتح الباب امام الحديث عن وجود اخرين.

وزارة حقوق الانسان بدورها تقول ان لديها معلومات تشير الى وجود اسرى لايزالون لدى الجانب الايراني من خلال افادات الاسرى الذين عادوا الى العراق بعد ٢٠٠٣، وان عدد الاسرى العراقيين في الحرب العراقية- الايرانية بلغ اكثر من ٥٠ الف اسير.

مقابر من نوع آخر

ومع تصاعد أعمال العنف في السنوات السابقة وازدياد حالات الاختطاف وحدوث حالات من الخطف الجماعي في شوارع رئيسية في بغداد وفي بعض المؤسسات الحكومية حيث اضافت هذه الحوادث الى مفقودي الحروب قائمة اخرى من المفقودين، وشيئا فشيئا بدأت تظهر مقابر جماعية جديدة، ففي وقت سابق تم اكتشاف أكثر من ١٢ مقبرة جماعية، نصفها على الأقل في بغداد، في السيدية حيث دفنت الجثث ورؤوسها مقطوعة في حفرتين منفصلتين، حسب مصدر في وزارة الداخلية، كما تم العثور على ١٦ جثة إضافية مدفونة في قناة لتصريف المياه شمال بغداد، ويضيف المصدر "ان اكثر المقابر تم العثور عليها في المناطق الساخنة التي كانت تشهد تواجدا من قبل تنظيم القاعدة والان هذه المناطق تعيش في هدوء امني مثل الأنبار وديالى".

وأكد التقرير الذي صدر عن لجنة الصليب الاحمر أن معهد الطب العدلي في بغداد استلم حوالي ٢٠ ألف جثة بين ٢٠٠٦ حزيران – ٢٠٠٧، وأنه لم يتم التعرف على ٥٠ في المائة من هذه الجثث، مشيراً إلى أنه تم دفن ٤٠٠٠ جثة مجهولة الهوية منذ عام ٢٠٠٣، في مقابر خاصة، نظراً لعدم وجود من يتعرف عليها، وكشف التقرير أن فحص الحمض النووي يعد واحداً من وسائل التعرف على الجثث في معهد الطب العدلي، وأن العراق يعاني من نقص في الأخصائيين، مشيراً إلى أن عملية فحص الحمض النووي لنحو ٢٠ ألف جثة ومطابقته قد تستغرق سنة كاملة، أو أكثر." بحسب الـ"CNN.

بداية الرحلة

ورحلة البحث عن المفقودين قد تكون مثل الدوران في حلقة مفرغة، ففي السابق كانت الاسر تخشى الدخول في بعض المناطق خوفا من الاستهداف في حالة محاولتهم البحث عن مفقود، ومن ناحية اخرى البحث في المستشفيات بين الجثث لم يكن من الامور البسيطة خصوصا مع كثرة الجثث في ذلك الوقت وصعوبة التعرف عليهم، والمستشفيات بدورها قامت بنقل الكثير منهم ودفنتهم في كربلاء والنجف دون معرفة هوياتهم لعدم التعرف عليهم من احد. يقول "حسن" احد العاملين في الطب العدلي "اضطرت الاسر الى ان تترك الجثث لاسباب كثيرة ونحن قمنا بدفن من لم يتعرف على هويته".

بعض الاسر التي فقدت ابناءها قررت في فترة العنف الطائفي ان تبحث عن ابنائها وكان نصيبها مزيدا من الالم، حيث يقول "ابو سامي"، توجهت من بغداد الى ديالى بعد ان وصلتني اخبار بان ابني موجود هناك لدى بعض الجهات الارهابية، وفي الطريق دخلنا بين البساتين وتعرضنا لهجوم من جماعة مسلحة وكان نصيبنا ان خطفوا ابني الثاني الذي كان مرافقا لي "و"ابو سامي" كان يتمنى لولم يذهب للبحث عنه لانه خلف جرحين في قلبه بدلا من واحد. فيما كانت اسر اخرى قررت ان تترك الامور على حالها وتنتظر المجهول، "كريم سعد"، لديه اثنان من ابنائه فقدا في سنة ٢٠٠٦ حين كانا في طريقهما الى اعمالهما ولم يعودا، والاخبارفي وقتها تحدثت عن اختطافهم من قبل مجهولين يقودون سيارة حديثة، حيث يقول "مازلت لااعرف مصير ابنائي لاني لم اجد جثثهم ولم استطع ان ابحث عنهم في تلك الفترة بسبب تردي الوضع الامني وظلت جثث مجهولة".

تجار ومنجمون

ومع انقطاع سبل معرفة طريق المفقود توجهت بعض الاسر وخصوصا النساء الكبيرات في العمر الى "المنجمات" او كما يدعى شعبيا "ام الخيرة"، تقول "ام حيدر"، "لم اترك سجناً او مستشفى او جمعيات ومنظمات الا وسألتها عن ابني ولكني لم اصل الى شيء حقيقي ولم استدل على ابني لذا قررت الذهاب الى "المنجمين". والمنجمات بدورهن يؤكدن ان "الزبائن كانوا يسألون عن قضايا تخص الزواج والطلاق والحمل، في حين اصبح عملهم فيه جانب امني وسياسي فالكثير من النساء يبحثن عن اشخاص فقدوا في احداث العنف". بينما يقول سراج محمد "أصبحت رحلة البحث عن المفقود عملا تجاريا لدى من امتهن البحث عنهم، فقدتلقيت اكثر من عشرة اتصالات من جهات مجهولة يزعمون انهم يملكون معلومات عن شقيقي المخطوف، ومنهم من ادعى انه مخطوف لديهم، وانفقت اكثر من ٣٠ الف دولار ولم احصل على شقيقي الى الان".